

موته وصارت تهم بعلامته سراو جل الى القاهرة ودفن هناك وأرسلت
الى ابنه (توران شاه) فحضر وكان بديار بكر فخارب الفرنج وأسرو ملكهم
لويز التاسع السالف الذ كر في واقعة فرسكور وسجنه بالمنصورة
فجمل يعرف بدار لقمان ووكل بحفظه طوائى يقال له صبيح وبقى أسيرا
الى ولاية شجرة الدر وقتل (توران شاه) المذكور بعد ان حكم شهرين
فقامت بالامر بعده شجرة الدر وكانت تحسن التدبير عن زوجها وجعلت
عز الدين ايبك التركمانى نائباعنها وأطلقت لويز من السجن بعد اتفاق
بينها وبين الفرنج وسلموا دمياط الى المصريين ودفعوا أموالا جسيمة
وتركوها بعد ان أقامت بيدهم احدى عشر شهرا ثم تزوجت بنائبها
المذكور وبعد ذلك اتفق الامراء على تولية الملك الاشرف موسى ابن
الملك الصالح وأشرى كوا اسمه مع شجرة الدر وذلك سنة ٦٤٨ هـ
سنة ١٢٥١ م وفي ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطوا
على مصر وكانوا ألف مملوك قد اصطفاهم الملك الصالح لخدمته وأسكنهم
بالقلعة التى بالروضة وكان لهم على شطوط النيل مراكب مشحونة
بالسلاح ومهمات الحرب ولهذا كانوا يسمون المماليك البحرية
وقبل التكام على هذه الدولة أى دولة المماليك البحرية نذ كر طرفا من
أخبار السلجوقيين الذين بظهورهم ضعت خلفاء بنى العباس وزالت
بالسكاية والجزئية باغارة المونغول

الباب الحادى عشر

السلجوقيين وحروب الصليب

كان دقاق أبو سلجوق من ممدى الترك ونشأ سلجوق وعليه أمارات
النجابة فقدمه ينيق ومملك الترك ثم خاف من بيغو فدخل وكل من أطاعه
في دين الاسلام لعادته وأقام بنواحي جند (بفتح فسكون) قرية وراء
بخارى وصار يقا تل كفار الترك وتوفى سلجوق المذكور بجند وعمره ١٠٧

سنة واستمر أولاده أرسلان وميكائيل وموسى فى غزوات الترك حتى قتل ميكائيل فى الغزوات وخلف أربعة بيغو وطغرلبك وجيرو وبك داود و ابراهيم نبال قربو امن بخارى فأساءهم أميرها فالتجرو الى بغراخان ملك للتركستان واتفق طغرلبك وأخوه داودان لا يجتمعا ببغراخان حذرا من غدره فتقدم اليه طغرلبك فقبض عليه ملك التركستان وسجنه ولم يمكنه القبض على داود فأرسل بغرا جيش القتال داود فانهزم عسكر بغراوسار داود وأخرج أخاه من السجن وأقاما بجند حتى انقضت الدولة السامانية وملك ايلك خان بخارى فعظم عنده أرسلان بن سلجوق ثم سار ايلك خان وجعل عام له على بخارى على تكين ومعه أرسلان حتى جاء السلطان محمود بن سبكتكين وقصد سنجان فهرب على المذكوور من بخارى وكتب أرسلان السلطان محمود فلما دخل بخارى قبض على أرسلان وجماعة السلجوقيين وفرقهم فى نواحي خراسان على خراج يدفعونه اليه فحارت العيال عليهم فانفصل جماعة منهم وساروا الى اذربيجان وكنوا بها واسمهم هناك الترك الغزية وسار طغرلبك وأخوه داود وبيغوا الى بخارى فقالتهم عسكر على تكين وأخيرا استمرت الحروب بين طغرلبك وأخوته وبين مسعود ابن السلطان محمود انتهت بهزيمة مسعود واستولى السلجوقيون على خراسان وخطب لهم على المنابر فى آخر سنة ٤٣١ هـ واستمر طغرلبك فى فتوحاته الى ان قدم الى العراق ونزل بجوان فعظم الارجاف ببغداد وبذل قوادها له الطاعة والخطبة باذن الخليفة العباسى القائم بأمر الله ثم استأذن طغرلبك فى دخول بغداد فدخلها وقبض أيضا على الملك الرحيم آخر ملوك العراق من بنى بويه واستيلاء طغرلبك على الامور كان سببا فى انحطاط الدولة الاسلامية وانتقال شوكة العربية الى الاتراك الذين كانوا قد دخلوا فى خدمة الدولة منذ قرنين فلما ارتفع شأن طغرلبك ازدادت قوة الاتراك وأتسروا السلاح واستمروا فى الفتوحات الاسلامية التى وقفت بظهور دولة بنى

العباس وهم الذين قاوموا المسيحيين مدة حروب الصليب الا ان غزو
التمذن وقف بالبلاد المشرقية وحصل التعصبات والفشل والمصائب
الكبيرة التي أهمها غارة المونغول

ولمات طغرل بك أخلفه ابن أخيه الب أرسلان فآخذ في الغزوات
واسمولى على سيليسيا التي كان قد آخذها من العرب امبراطور
القسطنطينية المدعو (حنازيميسكس) فقهر الامبراطور المعاصر له
وهو (ديوجين) وامتد حكم الب أرسلان الى أقصى بلاد العرب ثم توجه
لغزو بلاد التركستان فقتل هناك فأخلفه ابنه جلال الدين ملك شاه
الذى به ازدادت قوة السلاجوقيين فاجتهد في توطيد سلطوته وتوسيع
ملكته وكان وزيره نظام الملك قد اشتهر بالفضل والكرم كجمعة فر البرمكي
وفي مدته كثرت المدارس والجوامع ببغداد وتجددت الشوارع والى
غير ذلك من الاشغال الداخلية وقد بعث جيشا مع وزيره نظام الملك
لفتح البلاد ففتح مدينة انطاكية وجملة مدن أخرى من بلاد الجزيرة
وطرد الروم وتبعهم الى بوزغاز البوسفور وجميع البلاد الممتدة من جبال
قوقاز لغاية بلاد أرمينيا ولم يبق للروم سوى المدن البحرية فقط وصارت
جميع البلاد من نهر الهندوس لغاية البحر الاحمر وبحر الارخبيل مذعنة
الطاعة لملك شاه ولمات قسمت مملكته بين اولاده الاربعة محمود
وبارقيارك وسنجار ومحمد الى اربعة اقسام بعد حروب شديدة حصلت
بينهم وهي الجهم والقرمان والشام والروم (قبادوسيا) وكان تحت
الانخيرة قونية وتمزقت ممالك ملك شاه واستقل عماله على اقاليمهم
فان زنى الملقب بالتابكي استقل بالموصل وارثك التركمانى تغلب على
المقدس وفي مدته قاست النصارى الظلم والجور فلما أتى أحد الحجاج
الفرنساوين لمدعو بطرس ارهيمت لزيارة الارض المقدسة وعان ما هو فيها
أبناء جنسه عاد الى فرنسا وقرص ما شاهد من ذلك سبب الحرب الصليبية
الاولى وسميت بهذا الاسم لانه كان يلبس المجاهدين فيها صلبان حمر

الحرب الأولى

وكانت رغبة غير منتظمة ولم تكن رؤسائها من أهل الخبرة قاموا من أوروبا سنة ١٠٩٦ م الموافقة سنة ٤٢٦ هـ وساروا على شواطئ نهر الدانوب وأخروا جزأ عظيمًا من بلاد المجر والصرب ودمروا كل ما مروا به وعند وصول هؤلاء الأقوام إلى القسطنطينية أدخلهم امبراطورها اليكسيوس كومنينوس آسيا الصغرى فلما وصلوا إلى مدينة أنجورا قام عليهم ملك الروم السلجوقي وهزمهم ومزقهم كل ممزق ولم يعد عليهم شيء من هذه الاغارة الا فقد أرواحهم وفي السنة الثانية أتى جيش أقل عدد من الجيش المتقدم الا انه كثير الجراءة وكان قواده اناسا ذوي شهامة ومهارة وكان الرئيس الاكبر لهذه الرتبة هو (جدفروادوبويون) فاجتاز بوغاز البوسفور وحاصر مدينة نيسابا وأدخلها تحت طاعة الامبراطور السابق الذي كثرتم انتصر على الأتراك في وقعة بالقرب من مدينة دورليا وكانت هذه المدينة مفتاح آسيا الصغرى لكنه هلك منهم جزء عظيم بالامراض والحروب المستمرة بينهم وبين الأتراك فلما وصلوا إلى مدينة انطاكية كان في طاقة المسلمين الظفر باعدائهم لم لولا الشقاق الداخلي بين الرؤساء السلجوقيين وبعد ثمانية شهور من الحصار وقعت هذه المدينة في قبضة الصليبيين فقام أمير الموصل كتبة المساعدة تلك المدينة فهزم شرهزيمة سنة ١٠٩٩ م الموافقة سنة ٤٢٩ هـ ومع ان بيت المقدس كان ذا حصون متينة أخذته الصليبيون وصار (جدفروادوبويون) ملكا عليه وذلك بعد موت أخيه بودوين السالف الذي كرستين وعاد الصليبيون إلى أوروبا بعد ان نظموا بيت المقدس على نسق الممالك الغربية واستمر أهل القدس النصارى في حروب دائمية مع المسلمين حتى اتسعت مملكتهم وفتحوا مدينتي انطاكية وأورفولوجوسا مدينتي حصينتين اتكونا

الحرب النانية

ولما استولى عماد الدين زنجي على مدينة أورفا وطردهم منها تواب الصليبيين كان ذلك سببا في حرب صليبية ثانية تحت قيادة لويز السابع ملك فرنسا وجوزاد الثاني امبراطور المانيا فاصروا دمشق ولكنهم التزموا بالرحيل عنها لان جيوشهم قد هلكت من الحروب والامراض المتكاثرة وقد كانت مملكة بيت المقدس في حالة سيئة ولما تولى صلاح الدين يوسف ملك مصر واستولى على دمشق وحلب والموصل وهزم ملك بيت المقدس جي لوزنيان ودخل القدس وهدم مملكة بيت المقدس النصرانية كاتفة ثم شرع فريدريك بربروس امبراطور المانيا وفيليبس ملك فرنسا وريشارد قلب الاسد ملك انجلترا في حروب صليبية ثالثة فتوفي فريدريك في الطريق ووصل الصليبيون الى فلسطين واستولوا على عكة وبعدها هذا النجاح العظيم عاد اغلب الصليبيين الى أوروبا فاستمر ريشارد بنفسه في قتال المسلمين ولكنه بهد ذلك نزل أرض فلسطين بعد ان تم اهدم مع صلاح الدين يوسف سنة ١١٩٢ م الموافقة سنة ٥٢٢ هـ وشرع في حروب صليبية أخرى فخصات بعد ذلك بيسير وكانت تارة بالشام وتارة بمصر وتارة بتونس ولكن كانت سجالا ودولابن الطرفين وأخيرا بقيت الشام للمسلمين وانضمت الى مصر في زمن الايوبيين والملك البحري والجزراكسة

اغارة المونغول

وفي سنة ١٢٥٧ م أي في زمن الخليفة المستعصم الذي هو آخر خلفاء بني العباس اغار على العراق أمة المونغول فهبوا الاموال والخزائن الموجودة ببغداد وقتلوا كثيرا من عساكر الخليفة وسبب ذلك ان وزيره ابن العلقمي كان رفضيا وعدوا أهل السنة يريد زوال الخلافة من بني العباس فصار يكتب امبراطور المونغول (بني الاصفر) ويخبره بضعف

الخليفة ويعلمه صورة أخذ بغداد ويحسن للمستعصم توفير الخليفة
وعدم الصرف على العساكر فوفى مرة عشرين ألف مقاتل وأظهر
للخليفة انه وفر من مصار يفهم أموال الجسيمة في بيت المال فأعجبه رأيه
ولكونه يحب المال وجمعه فارسل امبراطور الموغول أخاه هلاكو الى
العراق ومعه جيش جرار فلما علم الخليفة بذلك استيقظ من غفاته وجمع
من قدر عليه من الجيوش فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير في نهر
الدجلة وقتل أكثرهم وأسروا الخليفة وأولاده ووقع وزيره لعنة الله
عليه في الذل والهوان الى ان مات وعملت جملة قصائد ببغداد منها

يا عصابة الاسلام نوحى واندى * خزنا على ماتم للمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقم

وكان ذلك سنة ١٢٥٨ م الموافقة سنة ٦٥٦ هـ وانتقل بيت
الخلافة من بغداد الى مصر في زمن السلطان بيبرس البندقدارى
وكان أولهم المستنصر وصل الى مصر واجتمع بالظاهر بيبرس وأثبت
نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من
الامر الاسم الخليفة وأولاده بعده على هذا المنوال

الباب الثانى عشر فى الممالك البحرية

كان ابتداء هذه الدولة فى سنة ٦٤٨ هـ الموافقة سنة ١٢٥١ م
وعدد ملوكها ٢٤ ومدة حكمهم ١٣٦ وأول ملوكها عز الدين ايبك
زوج شجرة الدر وسبب استيلائه ان الأشرف موسى كان صغيرا وبلغ أهل
مصر قدوم التتار للبلاد فاجتمعت الآراء على اقامة عز الدين بمفرده ولما
تسلطن شرع فى تخصيص الاموال واسـتخدام الرجال واستوزر ابا سعيد
هبة الله وكان أول قبضى تولى الوزارة وأوجد مكوها اسمها محقوقا ثم ان
عز الدين لما صفى له الوقت وتمكن وكثرت عساكره هربت جماعة البحرية
الى الشام مع رؤسائهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الافى وغـيرهما